

المحاضرات الخاصة بالسنة الثانية (دراسات نقدية)

جامعة محمد الصديق بن يحيى	المقياس : مناهج النقد الأدبي المعاصر // أستاذة المقياس في المحاضرة د/مسعودي حبيبة
كلية الآداب واللغات	السنة: الثانية
قسم اللغة و الأدب العربي	التخصص: دراسات نقدية
	المجموعة : الثالثة

المحاضرة الأولى: النقد الثقافي

أولاً: بين النقد الثقافي و الثقافة:

على الرغم مما قد يتبادر إلى الأذهان أن مصطلح "النقد الثقافي " لا يقتضي من المشتغل عليه تحديد دلالاته المتشعبة ذات النمط الزئبقي ، غير أن الوقوف على حيثياته يظل أمراً ضرورياً، ويعود ذلك إلى محاولة تقريب المفهوم للطالب وجعله يستوعب ما ينطوي عليه المصطلح المركب من حقائق، مع السعي نحو تكوين تصور واضح حوله-هذا المصطلح - ،أو على الأقل الإشارة إلى بعض المقولات التي سبقت حول

ومن المعلوم أن "النقد الثقافي " من بين التوجهات النقدية والمعرفية وكذا الدراسات الثقافية التي ظهر الاهتمام بها " مزمانا للتغيرات التي نقرنها بما بعد البنيوية، وما بعد الحداثة ولم يكن الاهتمام محض (موضة) فله أسبابه وبواعثه وانشغالاته".

وإذا كان النقد الثقافي حقيقة مزمانا لتلك التغيرات فإن الامر يقتضي منا التنبيه بأن "آرثر ايزابجر" في كتابه (النقد الثقافي مبدئي للمفاهيم الرئيسية) ذكر بأن " مصطلح الدراسات الثقافية ليس مصطلحا جديداً، Birmingham حيث شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام عام 1981 في نشر صحيفة "أوراق عمل في الدراسات الثقافية"، والتي تناولت وسائل الاعلام والثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا، والمسائل الايديولوجية، والأدب وعلم من العلامات والمسائل المرتبطة بالجنوسة والحركات الاجتماعية، والحياة اليومية وموضوعات أخرى متنوعة"

و من الواضح أن البنية النصية تزداد ثراءً بتفاعلها مع سياقات ثقافية متغيرة، منفتحة على أشكال مختلفة من الدلالات المتعددة ولما لا المواكبة لتلك المتغيرات، كون هذا الانفتاح يفصح عن وعي بكل التفاصيل المحيطة بالثقافة النصية -إن صح القول- وبالثقافات المجاورة له ،و لا بأس أن بأن "النقد الثقافي مهمة متداخلة، مرتبطة، متجاورة، متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة، ويمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي، وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، ويمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي، والنظرية الماركسية والأنثروبولوجية...الخ، ودراسات الاتصال، وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وحتى غير المعاصرة" .

وإذا كنا قد ذكرنا هذا التحديد فلنكي نؤكد أن الدراسات الثقافية تعمل على تأدية مهمة أساسية ضمن إطار القاعدة التواصلية، التفاعلية الشاملة على علوم متباينة ذات بنية تكاملية ترتبط علاقاتها ببعضها البعض، مهما تنوعت سياقاتها، وما يبدو لنا أن هذا الأمر يرمز إلى النظام التحولي أو إلى القاعدة التوليدية التي تخض الإضافة واستيعاب جزئيات القدرة الكامنة في قاعدة الإضافة التي نجد فيها مكونات عدة تتحدد الواحدة منها بالعلاقة مع الآخر.

وهنا نضع يدنا على النقطة الأكثر أهمية - في اعتقادنا - في النقد الثقافي ؛ هذا الأخير الذي توحى دلالاته العامة "على أن يكون مرادفاً للنقد الحضاري، كما مارسه "طه حسين والعقاد وأدونيس ومحمد عابد الجابري وعبد الله العروي (...)" فهو نشاط فكري يتخذ من الثقافة شموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"

وعلى أساس من هذه العلاقة قامت أرضية النقد الثقافي واتضح حضوره ووجوده، وبرزت سننه، في بنية تركيبية ذات مقومات سياقية شكلت في تداخلها تشاكلاً ثقافياً دلالياً متجانساً، ينطوي بدوره على دوائر فرعية واستراتيجية نسقية، وكذا خطوط متوازية تستوعب كلها المسار العام له، ولا سيما إذا تم الإقرار بأن النقد الثقافي ما هو إلا " نقد يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسسي، وما هو كذلك سواء من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي " . وإذا كان الأمر كذلك فإن أهمية الثقافة تكمن في تجسيدها للكل المركب الجامع بين مستويات معرفية عديدة تتولد من خلال طرائق عدة أهمها علاقة الفرد بمجتمعه وما يصبغه على ذاته من معارف وأفانين وسلوكات وأخلاق وأنظمة وقوانين وعادات وتقاليد... الخ من الامكانيات التي يكتسبها الفرد بوصفه فرداً من الجماعة (عضواً من أعضاء المجتمع) ، كيف لا و الثقافة ترمز إلى ذلك "الكل المركب الذي يشمل المعرفة و المعتقدات و الفن والأخلاق و القانون والعادات وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع "

وبهذا المعنى لا يمكن تصور وجود ثقافة بمعزل عن المجتمع ، كما لا يمكن للمجتمع أن يؤسس كيانه دون اتكائه على معالم ثقافية، كونها تمثل "كل نشاطات المجتمع من أكثرها ضرورية إلى أكثرها عفوية وفق النظر إليها في تماسكها الكلي المشهود أو المفترض".

وإذا نظرنا إلى هذا التحديد سنجد أن كل نشاطات المجتمع تشكل حقلاً تفاعلياً محتضناً للوجود المجتمعي وما له من عمليات فكرية و ظواهر لغوية وسلوكات عادات... الخ، ويعتمد على نظام من التفاعلات التي تمتلك تناسقها الداخلي المترسب في مجموع من الشرائح التزامية التي تتنامى بصفاتها الشمولية و التداخلية والتشاكلية.

وفي ظل هذه الصورة نشير إلى أن "الثقافة هي مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مشكّلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة؛ التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان. فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته، فهي بهذا المعنى تختلط بالمجتمع فلا يمكن التفريق بينهما إلا في مستوى التمثيل، فهي بالتالي تحدّد هوية المجتمع في كافة أبعاده المادية والمعنوية"

وفي هذا الاطار يظهر لنا أن مصطلح الثقافة يكشف للمتعامل معه عن ناحية مهمة من نواحي النشاط العقلي للفرد وكيف يعكس ذات نفسه في مرآة مجموعة المعطيات المكونة لأنساق معرفية متباينة ، علاوة على تنمية نواحي الاستعداد و التوجيه المعرفي، وقيادة حركات التجديد وإبراز مقومات التمثيل الفكري ،دون تجاهل الجوانب الحية المتكاملة -في المجتمع- و التسامي بها؛فالثقافة إذن تنشأ "عن روح الشعب وعن عبقريته، والأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتستدعيها، وتبدو الثقافة كمجموعة من الفتوحات الفنية والفكرية والأخلاقية التي تشكل ميراث أمة ما ،وتعتبر هذا الميراث متحققاً بشكل نهائي وهو يؤسس وحدتها"

و بهذا المعنى تكون الثقافة على صلة وطيدة بالمجتمعات و الأمم وروحها و، وما لها من انتاجات فنية أو فكرية أو أخلاقية...الخ

من الواضح أن مصطلح (النقد الثقافي) يوحي لنا بوجود نشاط فكري يجعل من الثقافة ركيزة له سواء أعلق الأمر بمفهومها، أم بخصائصها، أم بمساراتها التطورية ؛ إذ نجده يكشف "وسائل الثقافة في تمرير أنساقها وهذه الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية وراسخة ، ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق".

فما إن يظهر في الساحة منتجاً ثقافياً أو تركيباً إبداعياً وينال تهاوت الجماهير عليه إلا و حظي بالقبول من قبل أفراد المجتمع الذين بفعلهم هذا يمثلون ذاتاً مستهلكة ثقافية جمعية ، فهذا النمط من النقد يحوي أنساقاً ثقافية مضرة تقتضي من الذات الجمعية أن تستخرجها ؛ فالنقد الثقافي "فرع من فروع النقد النصوي العام ، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقوق (اللسنية) معني بنقد الأنساق المضرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه ، وصيغه، ما هو غير رسمي و غير مؤسسي ، وما هو كذلك سواء بسواء ، من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي"

فالنقد الثقافي إذن يشتغل على كشف الأنساق المضرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي ، أي كل ما هو متصل بالأنظمة المعرفية التي تتشابك مع بعضها البعض لتكون معارفنا وتوجهاتنا الفكرية، فهو نقد "يستخدم السوسيولوجيا و التاريخ و السياسة و المؤسساتية دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي ، و أهم ما يقوم عليه هذا النقد هو تجاوز الأدب الجمالي إلى تناول الإنتاج الثقافي أيا كان نوعه ومستواه ، ولهذا فهو أي(النقد الثقافي) يخالف تيارات النقد الأخرى في العودة إلى تأويل النصوص ودراسته الخافية التاريخية متجاوزا البنيوية إلى عبور الحدود بين التاريخ والأنثروبولوجيا و الفن و السياسة، والأدب و الاقتصاد "

وبهذا يكون النقد الثقافي متكناً على الحقل الاجتماعي و التاريخ و السياسة والمؤسساتية ، مع اتصاله بمناهج النقد الأدبي، متجاوزا في ذلك ممارسات النظرية الجمالية ، ويتم هذا انطلاقاً من كون الثقافة تعين على تشكيل و نميط التاريخ ، ومن هنا أيضا يكون الشغل الشاغل للنقد الثقافي الاهتمام بعمليات إنتاج الثقافة وتوسيع نطاق استخداماتها في المجتمعات و تبين كيفية استهلاكها ، و عليه يعيد هذا النمط من النقد النظر في الفنون الأدبية على اعتبار خصوصية الفضاءات الثقافية المختلفة ، معتمدا في ذلك كله - و بخاصة في تحليل النصوص- على مناهج التحليل التي تسهم - في نظرنا- مساهمة فعالة في كشف الماورائيات التاريخية ، وكذا صلتها بالمعطيات الموقفية الثقافية ، حيث يكون النظر إلى البنية النصية بوصفها حدثاً ثقافياً له مضامين نسقية ، ومضمرات نصية ونصانية ، فالنقد الثقافي يضع النص "داخل سياقه السياسي من ناحية وداخل سياق القارئ أو الناقد من ناحية أخرى (...)" وهكذا يصبح النص علاقة ثقافية تتحقق دلالتها فقط داخل السياق الثقافي الذي أنتجها ، أي إن النص الذي ينتمي إلى الماضي

يجب أن يفسر داخل السياق الثقافي السياسي لمؤلفه أو داخل السياق الثقافي الذي يعيد للقارئ الحديث تخيله و بناءه ، و بتنمية هذين المحورين و ترسيخ قيمهما ، يحدد النسق الثقافي الذي يحدد طبيعة النصوص الأدبية و طرق تقومها في الوقت نفسه .

ثانيا : بين النقد الثقافي و النقد الأدبي:

وعلى هذا فإن النقد الثقافي "أقرب أنواع النقد إلى التفكيكية من حيث أنه لا يقيم وزنا لما تم اعتياده في النقد قبولاً أو رفضاً ، وهو يسعى إلى التفكيك في كل شيء (...). أي أن النقد الثقافي تدمير واضح لكل ما هو ثقافي على قاعدة المغايرة والاختلاف".

فالناقد الثقافي يتخذ من معادلة (المغايرة و الاختلاف) قاعدة يتكئ عليها لتفكيك ما يجده أمامه ، حيث يجعل من النص نظاماً ثقافياً ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مجالات النقد الثقافي تتمثل فيما يسمى بالدراسات الثقافية التي "صارت تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه و ما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية " تشكل كيانه الكلي ، وتحدد معلمه الدلالي

و الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن النقد الثقافي تتشعب مجالاته ، وتباين مناحيه الدراسية فهو يعمل على "دراسة الثقافات الرفيعة و الشعبية والفرعية و الإيديولوجيات ، والأدب ،وعلم العلامات ، و الحركات الاجتماعية ،و الحياة اليومية ، ووسائل الإعلام ، والنظريات الفلسفية و الاجتماعية و نحوها ، على أن يتخذ من كل ذلك أدوات للتحليل و التفسير دون هيمنة لإحداها على سائرهما أو استبعاد متعمد لبعضهما"

ومما يبدو لنا أن النقد الثقافي يعتمد على ميكانيزمات مستمدة من خلال الاستعانة بالمعارف المتباينة قصد القيام بوظائفه المتعددة الرامية إلى الاهتمام بالثقافة، في حين نجد البعث ينظر إلى العلاقة الماثلة بين النقد الأدبي و النقد الثقافي على أنها علاقة اتصال و تكامل ومثل لذلك الباحث " غرينبلات " الذي بين بأن كلاهما يأخذ من الآخر قائلًا: "إن التحليل الثقافي لا يحدد على أنه تحليل خارجي مقابل التحليل الداخلي وفي الوقت نفسه يجب أن يكون مقابلاً لأسباب تتعلق بالتمييز بينما هو داخل النص وما هو خارجه ، إنه ضروري لنا استخدام أي شيء متاح لبناء رؤية (الكل المركب) الذي أشار إليه " تابلور" إذا كان فحص ثقافة بعينها سيؤدي إلى فهم معمق للعمل الأدبي المنتج داخل هذه الثقافة فإن القراءة المدققة للعمل الأدبي ستؤدي إلى فهم معمق للثقافة التي بداخلها أنتج الأدب".

فالباحث هنا يرمي إلى أن العلاقة بين النقد الثقافي و النقد الأدبي علاقة قائمة على التلاقح و التلاحم ، فالوعي بالأول يؤدي إلى الوعي بالثاني .

ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن النقد الثقافي ليس بديلاً عن النقد الأدبي ،كون النقد الثقافي "لا يمكن أن يتخلى على النقد الأدبي لا بصفة الملازمة وإنما بصفة الدربة و التمهيد في قراءة النصوص أساليبها و بناءها وما يجعل منها ذات قدرة على توسيع رؤية القارئ وأخذها بعيدة عن كتابة الوصف العادي أو التحليل الميت للوقائع"

وفي ظل هذا المنحى يكون النقد الثقافي متصلا بالنقد الأدبي ، فهو لم يلغه على الإطلاق فهما يسهمان في إنماء حركة الخطاب النقدي و انفتاحه على الثقافات المتباينة وذلك وفق آليات إجرائية تعين على ذلك "فالنقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي بل إنه سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي وهذه أولى الحقائق المنهجية التي يجب القطع بها " .

وعليه نقول: إن النقد الأدبي لا زال قادرا على تأدية الوظيفة المنوطة به ولا يحتاج إلى وجود بديل عنه سواء أكان النقد الثقافي أم غيره ، على العكس النقد الثقافي اعتمد في مساره التحليلي على المناهج التحليلية الموجودة في النقد الأدبي ، بل وقد استفاد كثيرا من نظرية الأدب.

ثالثا: "عبد الله الغدامي" و النقد الثقافي:

يعد من أبرز نقاد العرب الذين اهتموا بميدان النقد الثقافي وذلك من خلال مشروعه النقدي و المتمثل في (النقد الثقافي) الذي اعتمد فيه على جملة من المرتكزات ومنطلقات متعددة منها النظرية ومنها التطبيقية ، وقد جمعها هذا الناقد في كتابه (النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية) أهمها :

مرتكزات النقد الثقافي عند "عبد الله الغدامي" :

□ **المرتكز الأول:** التركيز على العنصر النسقي: وفي هذا يقول "عبد الله الغدامي" : "التركيز على العنصر النسقي (...). وهي وسيلة منهجية لجعل النسق و النسقية منطلقا نقديا"

□ **المرتكز الثاني:** الاهتمام بالدلالات النسقية : بوصفها الأرضية الأساسية للممارسة النقدية المتكئة هنا على الحدث القرائي الاستنطاقي للمنجزات الذهنية ذات الدلالات المضمرّة التي لا بد من الوصول إليها ، يقول "عبد الله الغدامي": "الدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي (...). و تحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها ولكي تكتمل منظومة النظر و الإجراء " .

□ **المرتكز الثالث:** الحصييلة الثقافية : فالمنجز الذهني ينطوي على معطى نسقي يحمل ناتجا دلاليا لا بد من استكشافه من خلال الانطلاق من المرتكز الأول (العنصر النسقي) ، فالحصييلة الثقافية ما هي إلا تكتيف دلالي ؛ فهي "الهدف و المرمى ، وأنها تهتم باستكشاف المنطوق الثقافي ، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي " .

□ **المرتكز الرابع:** لعبة التورية الثقافية: و التي تعني "وجود معنيين أحدهما قريب و الآخر بعيد، و المقصود هو البعيد ، وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة (...). أي ذات خطاب يحمل نسقين ، لا معنيين ، و أحد هذين النسقين واع و الآخر مضمر" .

□ **المرتكز الخامس:** التعمية الثقافية المتكئة على النسق المضمر: و هذا معناه أن النقد الثقافي ينطوي على شبكة من الأنساق المعلنة الدلالة وأخرى مضمرّة تحتاج لمن يستكشفها ويقف على مدى جماليتها التي تمثل "أداة تسويق و تمرير لهذا

المخبوء، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمراً ، ويعمل الجمالي على التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة و مؤثرة ومستديمة من تحت قناع " .

□ **المرتکز السادس:** الثقافة المؤلف: بمعنى أن هنالك للمنجز الذهني مؤلف ثاني (الثقافة) غير مؤلفه الأول (المبدع) ؛ فالمؤلف يكون >> في حالة إبداع كامل الإبداعية حسب شرط الجميل الإبداعي، غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية ، وفي مضمراً النص سنجد نسقاً كاملاً وفاعلاً ليس في وعي صاحب النص و لكنه نسق له وجود حقيقي وإن كان مضمراً، إننا نقول بمشاركة الثقافة بمؤلف فاعل و مؤثر ، والمبدع يبدع نصاً جميلاً ، فيما الثقافة تبدع نسقاً مضمراً، ولا يكشف ذلك غير النقد الثقافي " .

د / حبيبة مسعودي

مراجع يمكن الاستعانة بها في هذه المحاضرة

- 1 □ عبد الله حبيب التميمي، سحر كاظم حمزة الشجيري: سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، 2014م، مج 22.
- 2 □ عبد الله الغدامي : النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2005م.
- 3 □ ميجان رويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، دط.
- 4 □ عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1998 م.
- 5 □ دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.
- 6 □ آرثر ايزابجر : النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط1، 2003 م .
- 7 □ حسين السماهيجي و آخرون: عبد الله الغدامي و الممارسة النقدية و الثقافية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 01 ، 2003 م .
- 8 □ محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي ، الكتابة العربية في عالم متغير واقعها، سياقاتها وبنائها الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان، ط 01 ، 2005 م
- 9 □ عبد الله الغدامي : النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 03 ، 2005 م ،

د/ حبيبة مسعودي

المحاضرة الثانية : النقد النسوي

أولاً: ماذا نعني بالنقد النسوي؟

لا نعتقد أن تحديد معنى النقد النسوي أمراً سهلاً وذلك للتباين البادي في استخدام المصطلح الذي تعددت مصطلحاته من دارس إلى آخر منها (النقد النسوي) ، (النقد النسائي) ، (النقد الجنوسي) ، (النقد الأنوثي)... الخ ، وعلى الرغم من وجود تباين في الاستخدام المصطلحي بين الدارسين إلا أنه هنالك قاسم مشترك بين الكل تمثل في المحور المركزي في تناول و الذي مثلته المرأة التي تجسد كيانا قائماً بذاته في العملية الإبداعية و كذا الممارسة النقدية ، وعليه كانت تلك التسميات المتعددة لمسمى واحد يهتم " بدراسة تاريخ المرأة ، وتأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع من أجل إقصاء المرأة ، وتمهيش دورها في الإبداع، ويهتم إلى جانب ذلك بمتابعة دورها في اغناء العطاء الأدبي ، والبحث في الخصائص الجمالية و البنائية و اللغوية في هذا العطاء " إنه نمط من النقد الذي ينظر إلى المرأة على أنها مودبة لدور هام في المنظومة الإنتاجية النسوية .

ولعل المتصفح للدلالة التي حددها بعض الدارسين لمصطلح النقد النسوي يلحظ بأنها توحى ببعض الأمور نذكر منها:

- **الدعوة إلى إنصاف المرأة:** إذ "يطالب هذا النقد النسائي بإنصاف المرأة و جعلها على وعي يحيل الكاتب الرجل خاصة فيما يتعلق بالموروث الثقافي الأدبي ، وإبراز الكيفية المتحيزة التي بها يتم تمهيش المرأة ثقافياً لأسباب طبيعية بيولوجية " . فلا بد من وضع المرأة في مكانها المناسب ، وعدم تمهيشها ، والنظر إلى إبداعها على أنه كيان نصي شأنه شأن إبداع الرجل
- **تفعيل دور المرأة في المجتمع:** بمعنى أن هذا النقد يمكن عده مذهباً من المذاهب "التي تهدف إلى كسب المزيد من حقوق المرأة وتفعيل دورها في المجتمع وجعلها فعالة مع القضاء على العنف الممارس ضدها"
- **الممارسة النقدية الصادرة من المرأة:** بمعنى تلك الدراسات النقدية التي تكون بقلم المرأة سواء أعلق الأمر بالعملية التحليلية الدقيقة والمحكمة ، أم بتقديم وجهات نظر نسوية... الخ ، فهذا النقد يدل على ذاك "التحليل الدقيق المحكم لما تحتويه النصوص الأدبية وذلك وفق وجهات نظر نسوية ؛ حيث تحاول الكشف عن مظاهر تحتوي على النصوص الأدبية والتي ربما قد تشوه حقيقتها وكيونيتها ، فتجعل منها هيكلًا مادياً فقط لا يقوم بدوره إلا استناداً على الرجل".
- **إحلال المرأة في مكانة التابع:** وهذا ما ذهب إليه الدارس الناقد "محمد عناني" في أثناء تعريفه للنقد النسوي معتمداً في ذلك على دراسة الفيلسوف الإنجليزي "سيمون بلاكبورن" Simon Blackburn ؛ حيث حدد دلالاته المفاهيمية مبيناً أنه يعد "منهج دراسة الحياة الاجتماعية والفلسفة و علم الأخلاق (Ethics) ، يلتزم أصحابه بتصحيح انحرافات التحيز (Bias) التي تؤدي إلى إحلال المرأة في مكان التابع (Subordination) ، وعلى الغض من قيمة الخبرة الخاصة بالمرأة واستصغار شأنها (Disparagment) " .

- **التحرر من خطاب الرجل :** ولتوضيح هذه الفكرة نشير إلى موقف الناقد " إبراهيم خليل " في كتابه (في النقد والنقد الألسني) الذي بين فيه بأن قراءة ما تنتجه المرأة لا بد أن يقرأ "قراءة متحررة من تحكم الرجل في الخطاب والمصطلح النقدي"

ونحن نتعامل مع هذه التحديدات كلها يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي : هل النقد النسوي يمثل كما هو صادر من الممارسة النقدية النسوية أم أن للرجل فيه نصيب؟وهذا ما سنعمل على تناوله في العنصر الموالي من المحاضرة:

ثانيا: النقد النسوي نقد أنتجته المرأة أم يدخل ضمنه نقد الرجل؟

يبدو واضحا أن الحدث النقدي النسوي يتسم بخصوصية معينة ، سواء أعلق الأمر بشكله البنائي النقدي التحسيدي ، أم بمقاربة التفاصيل النقدية في حد ذاتها كونها تسهم في فك الخيوط البيانية للنصوص فالمرأة مثلا حينما " تتحدث عن الموضوعات الخاصة بها تتمتع بقدرة أكبر على تصويرها لكونها ترى الأشياء رؤية مختلفة عن الرجل".

والحالة هذه تجعلنا نشير إلى أن تباين آراء الدارسين فيما إذا كان النقد النسوي من إبداع المرأة أم الرجل ؟ فهذا "حفاوي بعلي" يرى بأن كل ما يكون ناتجا عن إحداث المرأة للممارسة النقدية قائلا: " إن استعمال مصطلح النقد النسوي أكثر شيوعا في الكتابات التي تتناول قضايا المرأة بالبحث و الدراسة بأقلام المرأة ".

وإذا ما انتقلنا إلى أولئك الدارسين الذين أشاروا إلى أن النقد النسوي قد يكون من إبداع كل من الرجل والمرأة فذكر "إدوار سعيد " الذي حين ميز بين المصطلحات التالية: الأدب النسائي ، الأدب الأنوثي، النقد الأنوثي أشار إلى أن هذا الأخير قد يكتبه رجل لا أنثى ؛قائلا بصريح العبارة:"الأدب الذي تكتبه امرأة أسميه ببساطة: كتابة المرأة ، أو الأدب النسائي، أما الأدب الذي يعبر عن موقف عقائدي (...) فإنني أسميه أدبا أنوثيا، وهكذا أتحدث عن النقد الأنوثي، وعن الحركات الأنوثية (...) وما يعنيه هذا التمييز هو أن النقد الأنوثي قد يكتبه رجل لا أنثى "، وهذه فكرة في غاية الأهمية أثارت أقلام العديد من الدارسين أمثال " يوسف وغليسي " الذي بين هو الآخر بأن هذا النوع من النقد قد يبدعه الرجل ؛وفي هذا الصدد يقول: "يشترط في الأدب النسوي - إذن- أن تكون كاتبة امرأة ، أما النقد النسوي (النسائي، الأنوثي، الأنثوي..) فلا يشترط فيه ذلك ؛ بل يكفي أن يكون بتوقيع رجل منحاز إلى أنوثة المرأة ورؤيتها للعالم".

وإذا ما انطلقنا من هذين النصين الأخيرين فإننا نستنتج بأن النقد النسوي يشترك في إنتاجه كلا من الرجل والمرأة . و الآراء كثيرة في هذا المجال لذا لا نطيل الحديث عنها في هذه المحاضرة لأنها تحتاج منا إلى مدة زمنية أطول مما هو مخصص لهذه المحاضرة ، وعليه ننتقل إلى عنصر آخر و يتمثل في طرحنا للتساؤل التالي:

فيما تتمثل يا ترى خصائص هذا النوع من النقد؟

ثالثا: خصائص النقد النسوي:

يتميز هذا النقد بجملة من الخصائص نبرز البعض منها فيما يلي :

1. هذا النمط من النقد يميل إلى التركيز على ما تنتجه المرأة وكل ما يميز عالمها الداخلي من أمور متعلقة بذاتها أو بعواطفها .
2. التركيز على خصوصية اللغة عند المرأة وما مدى انعكاس أنوثتها على تلك اللغة أو الأسلوب الذي تكتب به.
3. يسعى النقد النسوي إلى تجاوز الحواجز بين كتابات المرأة وكتابات الرجل ، أو ما يعرف بمصطلح "الجنوسية" بمعنى إلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة / الذكر و الأنثى.
4. الخروج من كنف المفاهيم التقليدية للإبداع و الحدث النقدي .

مراجع يمكن الاستعانة بها في هذه المحاضرة

- 1) إدوار سعيد : الثقافة و الامبريالية ، ترجمة كمال أبو ديب ، دار الأداب ، بيروت ، لبنان، ط03 ، 2004م
- 2) يوسف وغليسي: خطاب التأنيث ، دراسة في الشعر النسوي الجزائري ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 01، 2013م
- 3) محمد عناني : المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة مع معجم عربي انجليزي ، لونجمان للنشر و التوزيع، القاهرة ، جمهورية مصر العربية، ط 03 ، 2003 م
- 4) كريس بولديك: النقد والنظرية الأدبية منذ 1980م، ترجمة خميسي بوغرامة ، دار الهدى للنشر، الجزائر ، 2004م ،
- 5) انتصار محمد الطياري: النقد النسوي بين اضطراب المفهوم وفوضوية التنظير (مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر)، عالم الكتاب الحديث ، الأردن ط 01، 2006م .
- 6) حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط01، 2009م

د/ حبيبة مسعودي

المحاضرة الثالثة : النقد الاجتماعي

إذا ما عدنا إلى ما تركه لنا أسلافنا من انتاجات لاحظنا بأن هنالك إشارة منذ القدم بوجود علاقة وطيدة بين المجتمع و الأدب ، هذه الثنائية التي تشكل على أساسها ما يعرف في الدراسات النقدية بالنقد الاجتماعي الذي لا يمكن - في تصورنا- للدراسات الأدبية و النقدية الاستغناء عنه ؛ إذ يبدو أن شغله الشاغل دراسة و تحليل و تبين العلاقة الماثلة بين و المجتمع والأدب على اعتبار هذا الأخير يعد انعكاسا للحياة الانسانية، و لا يمكننا الاكتفاء بهذا التصور فحسب بل نذهب إلى أبعد من ذلك إلى موقف النقد الاجتماعي من الأدب و مدى تبيينه له وذلك في ضوء معالجة الأدب انطلاقا من المستوى الاجتماعي .

أولا: بين الأدب و المجتمع:

من الواضح أن هنالك علاقة وطيدة اتصالية لا انفصالية بين الأدب و المجتمع ، إنها علاقة تجذر و تماسك كون المجتمع يسهم في توليد الابداع الأدبي ، كما أن الأدب يدرس قضايا تتصل بالمجتمع ، ولا يمكن للأديب -في نظرنا - أن يؤسس ابداعه بمعزل عن مجتمعه ، كونه ابن بيئته يؤثر فيها كما يتأثر بها ، وربما هذا ما له صلة بعلم الاجتماع الأدبي .

ونحن في ظل كل هذه الأفكار تتبادر إلى أذهاننا جملة من التساؤلات التي نجد الاجابة عنها - في متن هذه المحاضرة- تذلل لنا بعض الصعوبات التي تصادفنا و نحن في إطار دراسة أطراف الثنائية التالية (المجتمع/ الأدب) منها:

✓ هل تطور الأدب بتطور المجتمع و العكس؟

✓ وإذا كان الأدب مرآة عاكسة لكل موجود في المجتمع فهل العملية الانعكاسية هذه يمكن اسقاطها على النص

في حد ذاته أم على العقل المؤسس لها؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات يتحتم علينا أن نخرج على بعض المفاهيم و الدراسات المنهجية المتصلة بمستوى اجتماعي معين.

وقد لا يختلف اثنان حول الفكرة القائلة بأن الأدب يعد المادة الدسمة للممارسة النقدية / عملية النقد التي تدفع بالعملية الابداعية نحو الركب الحضاري / التطور الفكري ، الثقافي ، الجمالي...الخ، فإذا كان هنالك أدب اقتضى بالضرورة وجود نقد يبين و يقوم ويقيم ما هو موجود ويجعل منه ابداعا جديدا عن طريق اخضاعه للعملية القرائية .

وإذا ما حاولنا الوقوف عند ما ذهب إليه بعض الدارسين في تحديد مصطلح الأدب وما له من احتكاكات مع الظواهر الأخرى تبين لنا أن هنالك من الدارسين من يعده "جزءا من الفن بشكل عام ، أو جزءا من المعارف و العلوم الانسانية ، أو جزءا من النظام الاجتماعي الذي يعده ظاهرة اجتماعية خلافا لكل ما تقدم ثمة من يرى أن الأدب شكل جمالي خالص أو عمل فني بحت ، أو نظام من الرموز و الدلالات التي تولد في النص و تعيش فيه، ولا صلة له بخارج النص ، و على عكس هؤلاء يرى

الآخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم ، و أنه أداة تعبير طبقية، أو أنه صياغة لتجربة انسانية عميقة، أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما "

فالأدب إذن - حسب ماورد في هذا التحديد المفهوماتي - :

- جزء من الفن عموماً أو المعارف الانسانية
- جزء من الأنظمة الاجتماعية
- عمل فني
- الأنظمة النصية المنطوية على الدلالات تكون في النص لذاته و من أجل ذاته
- الاتكاء على الكلمة للتعبير عن المعطى الموقفى للمبدع
- الاتصال بالتجارب الانسانية و التعبير عنها بشكل من الأشكال
- التناول الفني للغة

و في ثانيا هذا التوجه نشير إلى أن قضايا الأدب تدور حول 03 محاور كبرى أشار إليها الكثير من الدارسين -من أمثال شكري عزيز الماضي في كتابه(في نظرية الأدب) - :

أولها: نشأة الأدب// تبيان العلاقة بين الأدب و العملية الابداعية

ثانيها: طبيعة الأدب// تبيان كنه العمل الأدبي و جوهره.

ثالثها: وظيفة الأدب // صلة الأدب بالمتلقين

وانطلاقاً من هذه المحاور كلها تتولد لدينا أركان ثلاثة لا يمكن - في رأينا- لأحد منها الانفصال عن الآخر إنها:

الركن الأول: الأديب/ المبدع

الركن الثاني: العمل الأدبي/ الأدب

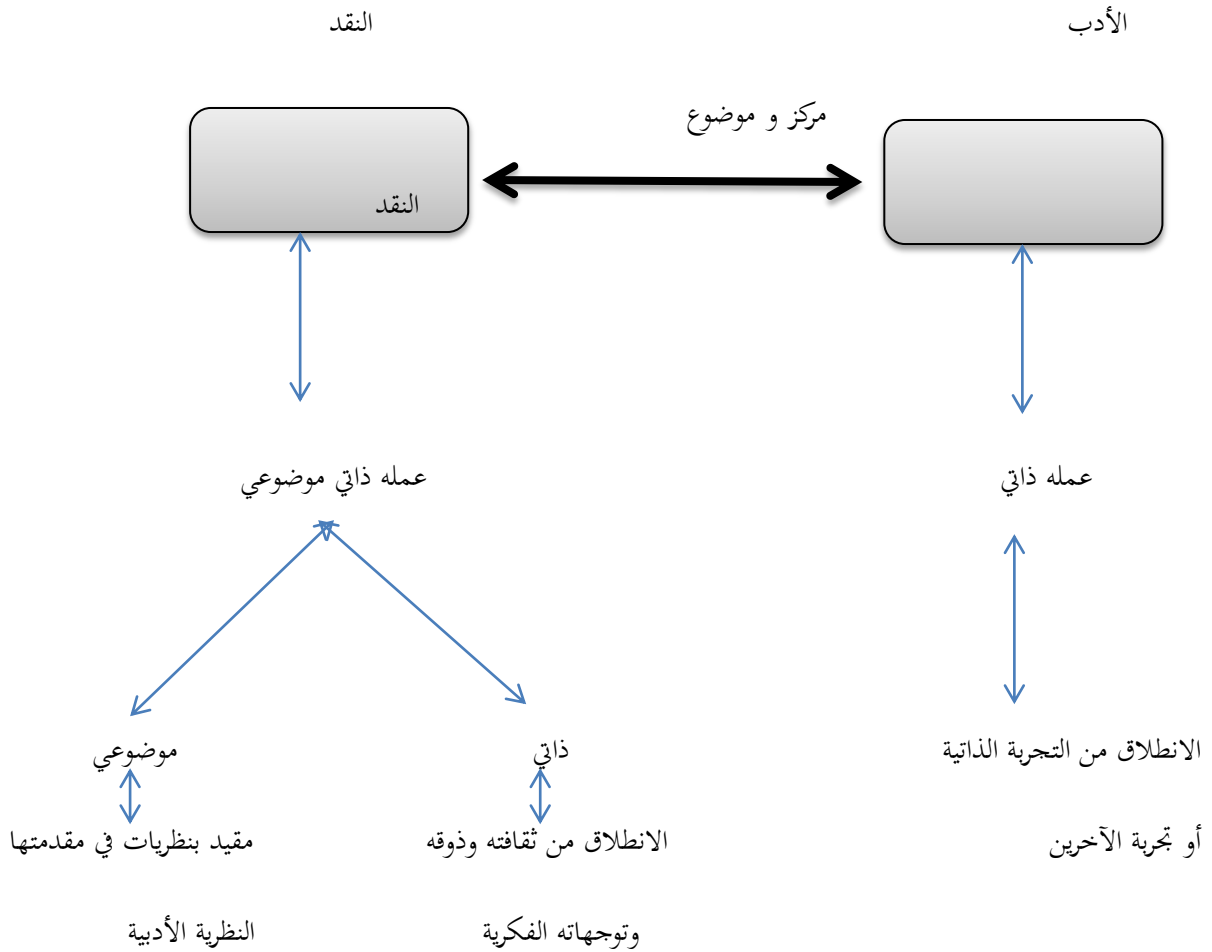
الركن الثالث: المتلقين/ المرسل إليهم

وفي هذا يقول " شكري عزيز الماضي ": " لا شك بأن الأديب و العمل الأدبي و جمهور القراء أركان أساسية لوجود الأدب، وإذا انتفى ركن من هذه الأركان انتفى وجود الأدب".

ثانيا : الأدب و النقد :

ومن الجدير بالذكر أن الأدب يعد الأرض الخصبة بالممارسة النقدية ؛ فالأديب يبدع و الناقد يتذوق و ينقد ، فالأدب " ذاتي من حيث إنه تعبير عما يحسه الأديب ،وعما يجول بصدرة من فكرة أو خاطرة أو عاطفة نابغة من تجربته الشخصية أو من تجارب الآخرين ، أما النقد فذاتي موضوعي ،فهو ذاتي من حيث تأثره بثقافة الناقد وذوقه ، ومزاجه ، ووجهة نظره ، وهو موضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات وأصول علمية".

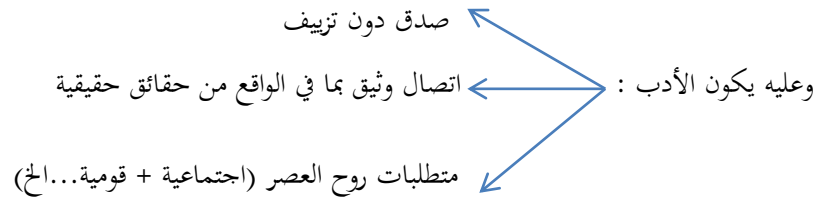
فالمشتغل بالممارسة النقدية لا ينطلق من العدم في قيامه بالقراءة النقدية للعمل الأدبي إنما يستند في ذلك إلى مجموعة من النظريات المتولدة من الحقول العلمية و لا سيما بالنظرية الأدبية لأن الأدب مركز النقد و موضوعه



وإذا ما حاولنا التطرق إلى المصطلح المركب (النقد الاجتماعي) وجدناه يدل على "تفسير الأدب و الظاهرة الأدبية في المجتمعات التي تنتجه و تستقبله و تستهلكه" ، فهو إذن : قراءة للعمل الأدبي / الظاهرة الأدبية في حضن المجتمع و ما ينطوي عليه من موجودات / مستويات/ ظواهر/ مواقف... الخ ، فهو:

- المنتج: محور مركزي له رؤية تكوينية (لها جوانب نفسية + اجتماعية + ثقافية + دينية...الخ)
- المستقبل: يملك استراتيجية اتصالية مع بني النص (الفراغات + المقومات + التحولات...الخ)
- المستهلك: له وعي بانعكاسات النص الدلالية (النص + استشرافات القارئ)

و من هنا يظهر لنا بأن الظاهرة الأدبية لا تنفصل عن المجتمع ، وهما مادة النقد الاجتماعي ، وهذا الناقد الروسي "فيساريون بلنسكي Vissqirion Belinski " وتلاميذه دعوا إلى جعل الأدب مرآة عاكسة لما يدور في المجتمع/الحياة الاجتماعية بكل ما له من مصداقية حيث رأوا بأن الأدب " الذي يكون تعبيراً عن التطور التاريخي للروح القومية ، وعن الحركة الديالكتيكية للأفكار السياسية و الاقتصادية ... وأعظم الكتاب أكثرهم تقمصاً لمجتمعهم وتطوره ، وتنبؤاً بحاجات عصرهم، وتعبيراً عن روحه وتمثيلاً لمعاصريهم "



ولا بأس من الإشارة إلى المقولة الشهيرة التي ردها "دي بونالد De Bonald" : "الأدب تعبير عن المجتمع" ، وبهذا يكون المنطلق لدى النقاد الاجتماعيين في تعاملهم النقدي مع المنجزات الذهنية من المجتمع على أساس أنه "المنتج الفعلي لهذه الاعمال الابداعية و الفنية "

فالعملية الانتاجية الابداعية ليست وليدة العدم -حسبهم- بل هي وليدة المحيط الاجتماعي ، ولعل هذا ما وضحته الناقدة الفرنسية "مدام دوستابل Madame De Stael "في نصها "إننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقاً حقيقياً في معزل عن المعرفة و الظروف الاجتماعية التي أدت إلى الابداع " و من خلال نصها هذا يتراءى لنا أن للمجتمع قوة توجيهية للأديب و لذوقه.

ثالثاً: مساهمة الناقد العربي في دراسة الأدب وفق حيثيات: النقد الاجتماعي:

قد لا يختلف اثنان حول الموقف القائل: إن الأدب و النقد يسيران مقتضيات العصر (التغيرات المتباعدة التي تحيط بهما) سواء أعلق الأمر بالناحية السياسية أم الاقتصادية أم الثقافية أم الاجتماعية...الخ، ومن هذا المنطلق كان للأديب و للناقد استجابتهما لكل ما يدور حولهما وعليه كان للنقد الاجتماعي تجاوباً عند الناقد العربي، حيث استقبله وجعله عتبة هامة في تعامله مع المنجزات الذهنية ، ولا سيما بعد احتكاكه بالثقافة الغريبة التي احتضنها من خلال البعثات العلمية التي كانت آنذاك ، والاتصال بالفكر الغربي و الأخذ عنه في شتى مناحي المعرفة ، ولا سيما المرتبطة بالفرد و الثقافة (المجتمع + الفكر).

ومن هنا كان النقد الاجتماعي بمثابة " حركة موجهة للأديب في بداية القرن التاسع عشر حين تغلبت النظريات الاشتراكية والرأسمالية على النظم الاقتصادية و الاجتماعية في العالم العربي ، فظهرت طبقة من النقاد ترى أن الأدب في خدمة المجتمع أو هكذا ينبغي أن يكون ، وأن النقد يصبح علم الفائدة إذا تحجر أمام جمال النص أو رداءته والأولى أن ينظر النقد إلى العمل

الأدبي على أنه جزء من نظام الحياة العام ، فيحدد الأهداف التي يرمي إليها ، والفكرة الاجتماعية التي يعكسها ، وقد رفضت هذه الفئة من النقاد كل أشكال التحكم و السيطرة على مقدرات الشعب وثرواته ، فحاربت البرجوازية والاقطاع بأشكاليهما الاقتصادية والأدبية ، وشجبت الأعمال الأدبية المؤيدة لهذه النظم القاسية"

من الواضح إذن أن الأديب يكتب عن الواقع و ما يقبع خلفه من حقائق و معطيات موقفية ، حيث يتفاعل مع كل ما هو موجود في المحيط ، فيتحرك معه ويصوره بمنظاره الخاص ، ومن جوانب متعددة قد تتصل بالقيم و الأعراف و الميولات ... الخ.

و في ظل هذا المنحى نجد الكثير من الدارسين العرب الذين أشاروا إلى النقد الاجتماعي في دراساتهم ، بل اتخذوه آلية تعينهم في ممارستهم النقدية ، ومن أمثال ذلك نذكر "محمد مندور " الذي كان يردد شعارا دالا على موقفه وهو " الأدب نقد للحياة " ، ولعل المدقق في مؤلفه (في الميزان الجديد) يذهب إلى أن " الأدب لا ينفصل أو يتجرد عن قضايا المجتمع ويتمسك بها بجانب تمسكه بالقضايا الجمالية المحضة " .

اضافة إلى "محمد مندور " نجد "سلامة موسى " الذي يؤكد في كتابه (الأدب للشعب) الذي نشره سنة 1961م يؤكد على أن الأدب مرتبط بالمجتمع وبطبقاته ، وأن الأديب يكتب للخاصة بل أخص الخاصة وفي هذا الصدد يقول: " من أجل ذلك شعر هؤلاء الأدباء بالحاجة إلى لغة جديدة تعبر عن مقاصدهم ، فهؤلاء الأدباء يطلبون أدبا عضويا يرتبط بالمجتمع ويؤدي فيه وظيفة حيوية ، وهو عضوي من حيث أنه يؤدي الجسم الاجتماعي خدمة معينة كما تؤدي اليد أو القدم خدمة معينة للجسم البشري " .

فرسالة "سلامة موسى " هنا توحى بدعوته إلى الانطلاق من المجتمع لوضع لبنة الأدب ، هذا الأخير عنده ما هو إلا خدمة للمجتمع .

مراجع يمكن الاستعانة بها في هذه المحاضرة

- 1) أحمد عبد الحميد مهدي : المنهج الاجتماعي ورواده في النقد الأدبي الحديث ، بحث في مادة النقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربية ، كلية اللغات ، جامعة المدينة العالمية –شاه علم- ماليزيا .
- 2) سلامة موسى: الأدب للشعب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1961م .
- 3) بيير زما : النقد الاجتماعي (نحو علم اجتماع للنص الأدبي) ، ترجمة عايدة لطفي ،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة ، ط 01 ، 1991م.
- 4) السعيد عموري : الايديولوجيا/ الخطاب/ النص(نحو مقارنة مفاهيمية) ، مجلة الأثر، مجلة علمية محكمة صادرة عن جامعة ورقلة ، الجزائر، العدد 18، جوان 2013م.
- 5) نعيمة بولكعبيات: سوسيولوجيا النص(تاريخ المنهج واجراءاته) مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010م ، 2011م